حراسة البوابة الإعلامية
مقاربة مفاهيمية في ظل البيئة الإلكترونية

أ.مكيري مالية

جامعة الجيلالي بونعامة– خميس مليانة

ملخص:

بعد مرور ما يزيد على أكثر من نصف قرن من ظهور مفهوم "حراسة البوابة الإعلامية" على يد الباحث "**كيرت لوين**" (Kurt Lewin) في عام 1977، سنحاول عبر هذه الورقة العلمية استقراء مدى صلاحية هذا المفهوم في ظل البيئة الإلكترونية التي أفرزتها تطبيقات الأنترنيت في مجال الإعلام والذي تمخض عنها ظهور ما يسمى بالإعلام الإلكتروني الذي يتميز بالتغطية الفورية والآنية والمستمرة والحية للأخبار فور وقوعها ومن أي مكان في العالم، ودون أن تكون هناك حواجز تعيق وصول تلك الرسائل والأخبار للجمهور المتلقي، ففي خضم هذه التحولات طفت إلى السطح جملة من التساؤلات عن دور حارس البوابة وطبيعة المهام المنوطة به في ظل هذه البيئة الجديدة، فحاولنا الإجابة عليها من خلال استعراض الأدبيات التي تناولت هذا المفهوم بهدف تقصي مدى سريانه على واقع الإعلام الإلكتروني الجديد.

الكلمات المفتاحية: حارس البوابة الإعلامية، القائم بالإتصال، المغربل، الإعلام الإلكتروني، دور، الرسالة الإعلامية.

تمهيد:

تمر أي رسالة إعلامية بمراحل عديدة وهي تنتقل من مصدرها الأصلي حتى تصل في النهاية إلى المتلقي، وعلى طول الرحلة التي تقطعها يتم اتخاذ قرارات بتحديد ما يجب أن ينشر أو لا ينشر منها، وما إذا كانت تلك الرسالة ستنتقل بنفس الشكل الذي جاءت فيه أو بعد إدخال تعديلات عليها، حيث يقوم القائمون بالاتصال في مختلف وسائل الإعلام بعملية غربلة وانتقاء لهذه الأخبار لتقرير مدى صلاحية نشرها واتخاذ قرارات بما يدخل وما يخرج من مضمونها.

وقد شكلت هذه السيرورة محل اهتمام العديد من الباحثين الذين سعوا إلى اكتشافها من خلال التركيز على دراسة القائم بالاتصال وطريقة اختياره للأخبار وكيفية تأثيره فيها، وقد تمخض عن هذه الدراسات نظرية **"حارس البوابة الإعلامية"** (**Gate Keeper theory**)، والتي تعرف أيضا تحت مسمى نظرية **"القائم بالاتصال"**، ويُنسب الفضل في تطوير هذه النظرية إلى الباحث وعالم النفس النمساوي الأصل الأمريكي الجنسية **"كيرت لوين"** (Kurt Lewin) الذي استند في تطويره لهذه النظرية إلى عدة دراسات تناولت بالبحث هذا المجال، حيث انبثقت هذه النظرية من رحم الدراسات والأبحاث المتعلقة بالقائمين بالاتصال التي أجراها العديد من الباحثين الأمريكيين والتي عمل "كيرت لوين" على وضع إطار نظري لها في سنة 1977[1]، وسنحاول التطرق بشيء من التفصيل إلى محتوى هذه النظرية على النحو التالي:

1- محتوى نظرية حراسة البوابة:

وفقا لاصطلاحات هذه النظرية فإن المعلومات في عملية الاتصال هي مجرد سلسلة متصلة الحلقات وفي كل حلقة منها يوجد فرد ما يتمتع بالحق في أن يقرر ما إذا كانت الرسالة التي تلقاها سينقلها أو لن ينقلها إلى الحلقات التالية، وما إذا كان سينقلها بنفس الشكل الذي جاءت به أم سيدخل عليها بعض التغييرات والتعديلات.

فبحسب "لوين" فإن المعلومات والأخبار تمر بمراحل مختلفة حتى تظهر على صفحات الجريدة أو المجلة أو في وسائل الإعلام الإلكترونية من إذاعة وتلفزيون، وقد أطلق على هذه المراحل مصطلح "بوابات"، موضحا أن هذه الأخيرة تقوم بتنظيم كمية أو قدر المعلومات التي ستمر من خلالها، بمعنى آخر هناك مجموعة من الحُراس يقفون في جميع مراحل السلسلة التي يتم بمقتضاها نقل المعلومات ويتمتع أولئك الحراس بالحق في أن يفتحوا البوابة أو يغلقونها أمام أي رسالة تأتي إليهم كما أن من حقهم إجراء تعديلات على الرسالة التي ستمر.

فحراسة البوابة إذا تعني "**السيطرة على مكان إستراتيجي في سلسلة الاتصال بحيث تصبح لحارس البوابة سلطة اتخاذ القرار فيما سيمر من خلال بوابته وكيف سيمر حتى يصل في النهاية إلى الوسيلة الإعلامية ومن ثم إلى الجمهور**"[2].

كما يمكن القول أن حراسة البوابة هي "**عملية اختيار عدد لا يحصى من المعلومات وصياغتها في عدد محدود من الرسائل تصل إلى الناس كل يوم، كما أن هذه العملية لا تحدد المعلومات التي يتم اختيارها فقط ولكن أيضًا المحتوى وطبيعة الرسائل التي سيتم نشرها**"[3].

ويسمى الأفراد الذين يقفون على هذه البوابات بـ"**حُراس البوابة**"، كما نجدهم تحت مسمى "**المغربل**"[4]، وهم يمثلون وظائف متعددة مثل الناشرين، المحررين، مديري المحطات وغيرهم ممن لهم سلطة تقييم محتوى الرسائل الإعلامية لتحديد علاقتها وقيمتها بالنسبة لجمهور المتلقين، وبالتالي تقرير الموضوعات التي تنشر أو التي ينبغي إعادة صياغتها بصورة معينة أو تلك التي يجب إهمالها، وعليه يقصد **بحُراس البوابة** "**الأشخاص الذين يقومون بالتقاط وجمع الأخبار والأنباء والمعلومات من مصادرها الإخبارية سواء كانت وكالات أنباء أو صحف أو أفراد أو مؤسسات أو جماعات أو جماهير**"[5]، كما يمكن تعريفهم على أنهم "**الصحفيون الذين يقومون بجمع الأخبار، وهم مصادر الأخبار الذين يزودون الصحفيين بالأنباء والأخبار، وهم أفراد الجمهور الذين يؤثرون على إدراك واهتمام أفراد آخرين من الجمهور للمواد الإعلامية، كل أولئك حراس بوابة في نقطة ما أو مرحلة ما من المراحل التي تقطعها الأخبار**"[6].

فعند وقوع حدث ما فأول حارس بوابة في هذه الحالة هو الفرد الذي يشاهد الحدث عند وقوعه، وهو ينتقي بلا شعور أشياء معينة يلاحظها ويهمل أخرى، أما الحارس الثاني فهو المخبر الصحفي الذي يحصل على الخبر من الشاهد ويقوم هو الآخر بانتقاء الحقائق التي سينقلها ويهمل غيرها، ويأتي بعدها دور وكالة الأنباء حيث تقوم بمهمة الحارس الثالث وبعد ذلك يسلم الخبر إلى المحرر في الصحيفة أو الإذاعة أو التلفزيون ومن ثم إلى سكرتير التحرير وبعدها إلى رئيس التحرير ثم يتم إرساله إلى الجمهور المتلقي، وبين أفراد هذا الأخير هناك أفراد يقومون بنقل الأخبار فيما بينهم.

2- دور حارس البوابة الإعلامية:

يلعب حارس البوابة الإعلامية دورا مهما ومؤثرا في عملية انسياب المعلومات إلى الجمهور كما وكيفا، حيث يتحكم فيها من ناحيتين[7]:

1- من خلال ما يعرضه عليهم من أخبار ومعلومات

2- كما يكون تأثير القائم بالاتصال أو الحارس الإعلامي في الجمهور من خلال ما يحجبه عنهم ، فإذا كان قد سمح بمرور رسائل إعلامية معينة فإنه قد حرمهم من الأخرى، ويؤكد هذا المفهوم على أن الأكثر

أهمية ليس الذي تم عرضه على الجمهور بل الذي لم يتم عرضه، وفي هذا إشارة إلى أن وسائل الإعلام قد تلجأ أحيانا إلى حجب الحقيقة أو مواد إعلامية معينة لدعم ثوابتها الثقافية وحماية بنيانها الاجتماعي ودفع عجلة التنمية بخطى منسجمة مع الثوابت وذلك البنيان.

فأي مجتمع له قيمه وعاداته وتقاليده التي يجب المحافظة عليها بطريقة بناءة، **ثانياً**: فإنه من الناحية العملية ليس بالإمكان نشر كل ما تتلقاه الصحف من الأخبار، **ثالثاً**: نجد أن المستويات الفنية واللغوية والإبداعية للرسائل الإعلامية قد لا ترقى كلها إلى مستوى النشر أو البث حتى لو التزمت بقيم المجتمع وعاداته، **رابعاً**: ليس كل ما يصل الوسيلة الإعلامية له أهمية بالنسبة للجمهور فما يهم الألماني ليس بالضرورة يهم العربي وليس بالضرورة يهم الصيني، **خامساً**: لكل مجتمع قوانينه التي تنظم العملية الإعلامية من خلال قوانين النشر، ومن ثم لابد من مراعاتها وإلا أدى ذلك إلى مخالفات قد تقود إلى غلق الصحيفة أو إيقاف المذيع أو معد البرنامج ومحاسبته قضائياً، **سادساً**: أن كل مجتمع له ذوقه الخاص في تقبل الرسائل الإعلامية.

كما أن المشكلة الأساسية التي تواجه حارس البوابة هي الفيض الكبير من الأخبار والمعلومات التي ترد إليه من المصادر المختلفة، وبسبب الظروف التي تفرضها طبيعة العمل فإن عليه أن يختار من هذا الفيض مقدارا كافيا يتناسب والوظائف والأهداف التي تسعى إلى تحقيقها: فرئيس التحرير لجريدة يومية محددة الصفحات مضطر أن يولي اهتمامه لتلك الأخبار التي يرى أنها مهمة للقراء في منطقته، وبحدود المساحة المخصصة لها لأن الجريدة تحتوي على أشياء أخرى غير الأخبار أيضا.

وهكذا فإنه يمكن إيجاز دور المغربل في النقاط التالية:

أ- أن المغربل يمكن أن يمنع الرسالة من الوصول إلى الجمهور وذلك ببساطة بأن يرفض نشرها أو إذاعتها.

ب- يمكن للمغربل أن يغير في الرسالة بحذف بعض أجزائها أو يدخل عليها بعض التغييرات والتعديلات كأن يضيف إلى رسائله معلومات من مصادر أخرى بالإضافة إلى ما يقدمه له المحرر أو وكالة الأنباء.

ج-كما يمكن أن يضيف المغربل كذلك تعديلات مهمة على الرسالة من حيث التأكيد عليها كأن تكون ذات أهمية قليلة فيبرزها في عمود رئيسي في الصفحة الأولى في الجريدة، أو أن تكون ذات أهمية كبيرة إلا أنه ينشرها في صفحات داخلية تقلل من أهميتها.

وهكذا يمكننا القول بأن قوة المغربل تكمن في حذف الرسائل أو إلغائها وفي زيادة كمية المعلومات وإبراز أهميتها وكذلك في التقليل من كمية المعلومات ومن إبراز أهميتها.

3- العوامل المؤثرة على عمل حارس البوابة الإعلامية:

توصلت مجمل الدراسات التي تناولت حارس البوابة بالبحث إلى أن هناك العديد من المتغيرات التي تؤثر على مهام القائم بالإتصال كمغربل للرسائل الإعلامية والتي على ضوئها يُحدد ما ينشر وما لا ينشر، وإجمالا لما سبق يمكن تقسيم هذه العوامل إلى أربعة عوامل أساسية هي[8]:

1) معايير المجتمع، قيمه وتقاليده: حيث يعد النظام الاجتماعي الذي تعمل في إطاره وسائل الإعلام من القوى الأساسية التي تؤثر على القائمين بالاتصال، فأي نظام اجتماعي ينطوي على قيم ومبادئ يسعى لإقرارها ويرتبط ذلك بوظيفة التنشئة الاجتماعية أو التطبيع وتعكس وسائل الإعلام هذا الاهتمام بمحاولتها الحفاظ على القيم الثقافية والاجتماعية السائدة.

وفي هذا الصدد يرى الباحث "وارين بريد"(Waren Breed) أنه في بعض الأحوال قد لا يُقدم القائم بالاتصال تغطية كاملة للأحداث التي تقع حوله وليس هذا نتيجة لتقصير منه ولكن يغفلها للحفاظ على قيم المجتمع وتقاليده وتدعيمهما.

2) المعايير الذاتية للقائم بالاتصال: حيث تلعب الخصائص الشخصية للقائم بالاتصال دورًا في طبيعة ممارسة حارس البوابة الإعلامية لوظيفته كالنوع، العمر، الدخل، الطبقة الاجتماعية، المستوى التعليمي والانتماءات الفكرية والعقائدية واحترام الذات، الخلفية الاجتماعية وكذا الكفاءة المهنية، كلها تتداخل في عملية توجيه ونشر الأخبار[9].

3) المعايير المهنية للقائم بالاتصال: فهذا الأخير يتعرض إلى مجموعة من الضغوط المهنية التي تؤثر في عمله وتؤدي إلى توافقه مع سياسة المؤسسة الإعلامية التي ينتمي إليها، وتتضمن هذه المعايير المهنية: سياسة الوسيلة الإعلامية، مصادر الأخبار المتاحة، علاقات الصحفي بزملائه، ويمكن التفصيل في هذه الأمور على النحو التالي:

أ- *السياسة الإعلامية للمؤسسة:* وهي بمثابة مجموعة من المبادئ والقواعد والخطوط العريضة التي تتحكم في الأسلوب أو الطريقة التي يقدم بها المضمون الصحفي، وتكون في الغالب غير مكتوبة بل مفهومة ضمنياً من جانب أفراد الجهاز التحريري، وتظهر في سلوكهم وممارستهم للعمل الصحفي، وتخضع لقدر من المرونة تختلف درجته من صحيفةٍ لأخرى ومن فترةٍ لأخرى داخل الصحيفة نفسها.

فلكل وسيلة إعلامية سياستها الخاصة بها سواء صرحت بها أم لم تصرح بها وقد تظهر هذه السياسة في اختيار بعض الموضوعات على حساب أخرى، والصحفيون يكتسبون ويتعلمون هذه السياسة عن طريق الاستيعاب التدريجي لأساليب العمل والاستفسار عنها من زملائه.

ب- *مصادر الأخبار:* أشارت أغلب الدراسات في هذا المجال إلى إمكانية استغناء القائم بالاتصال عن جمهوره وصعوبة استغنائه عن مصادره، حيث إن محاولة الصحفي الاستقلال عن مصادره ؛ عملية شاقة جدا خصوصا وأن هذا الأخير في قيامه بعملية تكوين مصادره الخاصة يتطلب منه وقتا وجهدا كبيرين، ونتيجة ذلك ستظل المعلومات المنشورة موجهة وروتينية لخدمة أطراف بعينها، حيث تتمثل تأثيرات المصادر على القيم الإخبارية والمهنية من خلال توجيه الانتباه إلى أخبار معينة بطرق عديدة.

ج- *علاقات العمل وضغوطاته:* إذ يتفق الباحثون على أن علاقات العمل تضع بصماتها على القائم بالاتصال الذي يرتبط مع زملائه في علاقات تفاعل تخلق بعدًا اجتماعيا، وتظهر أهمية هذه العلاقات في أن وظيفة القائم بالاتصال في حد ذاتها هي وظيفة تنافسية بطبيعتها فكل صحفي يهدف إلى تحقيق السبق الصحفي للوصول إلى أكبر عدد ممكن من الجمهور ولذلك فإنه على الرغم من اعتناق جميع الصحفيين نفس المعايير المهنية إلا أنه يظل لكل منهم معاييره الخاصة.

4) معايير الجمهور: فمثلما يؤثر القائم بالاتصال على الجمهور فإن هذا الأخير يؤثر فيه أيضا، فالرسائل التي يقدمها القائم بالاتصال يحددها إلى حد ما توقعاته عن ردود فعل الجمهور، فوسائل الإعلام يجب أن ترضي جماهيرها ولكي يتحقق ذلك لابد من معرفة الجمهور معرفة دقيقة ومعرفة احتياجاته ومن بين الوسائل التي تساعد في ذلك على سبيل المثال إجراء المسوح الميدانية، تحليل بريد رسائل القراء، والمهم هنا أن الاهتمامات تؤخذ بالاعتبار بصورة أو بأخرى في تقييم المضامين المختلفة والطريقة التي تتم بها معالجة الأحداث.

4- حراسة البوابة في ظل البيئة الإعلامية الإلكترونية:

من بين الأفكار الأساسية التي تطرحها الدراسات الإعلامية فيما يتعلق بمفهوم حراسة البوابة في ظل البيئة الإلكترونية التي أفرزتها تطبيقات الأنترنيت في مجال الإعلام والذي تمخض عنه ظهور ما يسمى بـ"الإعلام الإلكتروني" الذي يتميز بالتغطية الفورية والآنية والمستمرة والحية للأخبار فور وقوعها ومن أي مكان في العالم، هي مدى سريان صلاحية هذا المفهوم في إطار هذه البيئة، من هنا بدأت أهمية إعادة النظر في مفهوم "حارس البوابة الإعلامية"، وفي هذا الصدد تباينت الرؤى: فبينما يرى البعض أن مفهوم حارس البوابة

لم يعد قائمًا في ظل هذه البيئة الإعلامية الجديدة، فإن البعض الآخر يرى أن المفهوم ما زال صالحاً للتطبيق على البيئة الإعلامية الجديدة على الرغم من التغيرات التي حدثت لأبعاده، مفترضة أن وسائل الاتصال الحديثة والأنترنيت خلقت بوابات أخرى جديدة ذات طابع إلكتروني تقوم بذات المهام التي كانت تقوم بها البوابات التقليدية، وفي إطار هاتين الرؤيتين طرحت عدة أفكار ويمكن التفصيل فيها على النحو التالي[10]:

الرؤية الأولى: يرى أصحاب هذا الاتجاه أن ثورة الاتصال والإعلام والمعلومات قلصت إلى حد ما من احتكار حراس البوابات لوظيفة التحكم في التدفق الاتصالي والإعلامي الذي بدأ يتحول إلى فيضانات كثيرة نتيجة انتشار شبكات الأنترنيت إضافة إلى شبكات البث الفضائي التلفزيوني والهواتف النقالة التي اندمجت فيها الخدمات الاتصالية والإعلامية وهو ما مكن الكثيرين من تجاوز حراس البوابة التقليديين، حيث أصبح بمقدور كل فرد أن يطلع على ما يريده من أخبار ومعلومات وآراء بدون رقيب أو حارس يقوم –بالنيابة عنه– بالمهام التقليدية لحراس البوابة من تصفية وفلترة وحجب ومنع وتقييد ومصادرة للمعلومات والأخبار والآراء، كما أصبح بمقدور كل فرد القيام بوظيفة حارس البوابة بنفسه سواء أكان يقوم بعمل إعلامي أو كجمهور متلقي للمعلومات وأن يقوم بذاته بتحديد احتياجاته واهتماماته من الوسائل الإعلامية الإلكترونية الجديدة ويؤلفها بما يتوافق معها، أو يقوم باختيار نوعية المصادر التي يتعرض لها والموضوعات التي يقرأها أو يراها أو يسمعها أو يشاهدها، ومن ثم لا يحتاج المرء لشخص آخر أو حارس بوابة يقرر أو يختار أو يلخص أو يحلل أو يفسر له المعلومات والآراء أو يسترجعها بالنيابة عنه.

حيث يقر أنصار هذا الفريق بزوال القيود التي كان يتحجج بها حراس البوابة في البيئة الإعلامية التقليدية سواء الضغوط السياسية أو قيود الحصول على المعلومات وبثها، فالرسالة لا تصل إلى الجمهور قبل أن تمر عبر عدد من البوابات أو النقاط التي تقوم بإجراء تعديلات عليها إن لم تقم بحجبها نهائيا، حيث إن النخب التي أتيحت لها السيطرة على مراكز التحكم في الإعلام وضبط تدفقه نحو الجمهور تقيم لنفسها أو بينها وبين فئات الجمهور ما يسمى بـ"ستار المعلومات" الذي يشير إلى أنه يوجد دائما في كل مجتمع أو نظام ما يجب ستره، أي مجموعة من الحقائق التي يجب أن لا تظهر سواء كانت هذه الحقائق تتعلق بأفكار أو أحداث أو أشخاص، كذلك فإن هذا الستار هو ستار معلوماتي أي يقوم بستر المعلومات بالمعلومات[11].

لكن هذا المفهوم أو السيرورة لم تعد هي الرئيسية للرسالة الإعلامية في عصر الأنترنيت، فقد نشأت سيرورات جديدة بديلة تقوم على فكرة اختراق ستار المعلومات والحصول عليها ومحاولة نشرها حتى تصل إلى الجمهور، فالتغيرات في وسائل الإعلام والاتصال خصوصا طغيان الرقمنة أتاح لفئات اجتماعية من توظيف

تكنولوجيات جديدة لتقويض فعالية سلاسل حراس البوابات التقليدية وأنشأوا بدورهم سلاسل جديدة توازي الوظيفة التي يقوم بها حراس البوابات التقليديين، حيث تقوم هذه السلاسل بدورين:

-تمرير ما يتاح من رسائل إعلامية التي يجري حجبها في السلاسل التقليدية.

-أو ممارسة قدر من الحجب أو التعديل أيضا كما تفعل سلاسل حراس البوابات التقليدية بهدف بناء معان جديدة تتناقض مع ما هدفت إليه السلاسل التقليدية وهي الوظيفة نفسها المتمثلة في التحكم، وقد يجري الحجب أو التعديل أيضا بسبب بعض المحددات السياسية والاجتماعية.

ومن ثم فلا حاجة لحراس بوابة يقومون بوظائف تجاوزتها الوسائل الإعلامية الجديدة، ويشير أصاحب هذه الرؤية إلى ظهور فئة جديدة من الإعلاميين لا تتعرض للضغوط التقليدية التي يتعرض لها الإعلاميون في الوسائل الإعلامية التقليدية سواء أكانت ضغوطا تنظيمية أو روتينية أو من ناحية المساحة أو التوقيت أو غيرهما، فحراس البوابة الجدد يمتلكون مواقعهم الخاصة وهم فقط الذين يحددون نوعية الضغوط التي يتعرضون لها ويرسمون لأنفسهم الحدود التي يقفون عندها.

الرؤية الثانية: وفي مقابل الرؤية السالفة الذكر، يرى البعض الآخر أنه على الرغم مما يبدو من أن مفهوم حراسة البوابة لا يرتبط بالصحافة الإلكترونية والأنترنيت باعتبار أن المستخدمين يمكن أن يحددوا بأنفسهم المعلومات المهمة ولا يحتاجون إلى مفسر لهذه المعلومات وأنهم أحرار في الرقابة على المعلومات، إلا أن حراس البوابة مازالوا يتواجدون في الساحة الإعلامية الإلكترونية ولا يزالون يمارسون ذات المهام التي كانوا يقومون بها في وسائل الإعلام التقليدية، ويقرون بأنه على الرغم من وجود أنواع جديدة من حراس البوابة إلا أن هناك حراس بوابة آخرين لا يزالون يقومون بذات المهام التي يقوم بها حراس البوابة التقليديين، ويؤكدون أن مهمة "الغربلة" أو "الفلترة" لم تختف تمامًا فبعضها يقوم بها حراس أفراد والبعض الأخر تقوم بها وسائل وبرامج متخصصة.

فجوهر وظيفة ومهام حراسة البوابة مازال حيًا في البيئة الإلكترونية وإن اختلف السياق الذي تتم فيه هذه المهام، فهم إما يقومون باختيار ذات المادة التي تنشرها وسائل الإعلام التقليدية وبثها على الويب، أو يقومون بوظائف قريبة من ذات الوظائف التي يقوم بها حراس البوابة في البيئة التقليدية، أو يقومون بتسهيل عملية تلقي المعلومات وتداولها واختيارها.

حيث ينفي أنصار هذا الفريق تراجع مكانة حراس البوابة في البيئة الإلكترونية ويرون أن دورهم أصبح أكثر أهمية وإن كان هذا الدور يجب أن يتغير ليتلاءم مع طبيعة البيئة الجديدة التي يتبادل فيها الجمهور وحراس

البوابة المعلومات بغزارة عبر أجهزة الكمبيوتر في وقت يواجه فيه الجمهور صعوبات في تقييم جودة ومصداقية هذه المعلومات، وهو ما يؤكد الحاجة إلى حراس بوابة محايدين يساعدون في عملية الاختيار والتقييم لهذا الكم الهائل من المعلومات المتوافرة على الوسائل الإلكترونية ومساعدة الجمهور للوصول إلى المعلومات الموثوق فيها وتوجيههم إلى المصادر المحايدة[12].

بناءً عليه فإن نظرية حراسة البوابة لا تزال ملائمة للبيئة الإلكترونية ويمكن أن تنطبق على الإعلاميين وحراس البوابة الجدد بالرغم من تغير طبيعة الأدوار التي يقومون بها في عملية صناعة الأخبار بسبب التغير في البيئة التي يعملون فيها، بل ويؤكد أنصار هذا الفريق أن مفهوم حراسة البوابة في البيئة الإعلامية الجديدة يوفر أساسًا قيمياً جديداً لاختيار ونشر الأخبار أكثر مما يبدو ظاهريا، ويتساءلون عن الآثار التي يمكن أن تنجم عن اختفاء حراسة البوابة في البيئة الإلكترونية، ويقولون أنه بالرغم من أن الويب سمح بوجود أصوات إعلامية لا تتعرض للفلترة أو التنقيح أو المراجعة، فإنه يوجد أيضا إعلاميون متميزون يقومون بوظيفة حراسة البوابة سواء في اختيار نوعية المواد التي يعرضونها على جمهورهم أو في التزامهم بالقيم المهنية.

واستنادا إلى ما سبق يمكن القول أيضا أن التطورات الهائلة في تكنولوجيات الإعلام والاتصال والثورة المعلوماتية قد قوضت –إلى حد ما– من فعالية عمل سلاسل حراس البوابات التقليديين لكنها لم تلغيها تماما حتى الآن لأنها ترتبط بقوى سياسية واقتصادية واجتماعية تحاول الحفاظ على أدواتها الإعلامية في السيطرة والضبط والحفاظ على ستار المعلومات التي يختفي وراءها الكثير مما لا يجب نشره، حيث نشأت سلاسل وربما شبكات من **"نظراء حراس البوابات"** تتركز مهامهم الرئيسية في فتح البوابات التي أغلقت على تدفق نوع معين من الرسائل ثم إتاحة التدفق لسيل من الرسائل التي يعتقد بعض القائمين بالاتصال أنها تسهم في إعادة بناء الرموز والمعاني، أو بهدف تحقيق أهداف ربحية من خلال المتاجرة بالمعلومات والأخبار واكتساب الجمهور لأهداف إعلانية، وهذه السلاسل تقوم أيضا بقدر من عمليات الحجب والتعديل مثلما تقوم به السلاسل القديمة لحراس البوابات الإعلامية.

أما عن أبرز الفروق بين سمات حراسة البوابة في البيئة الإعلامية التقليدية والإلكترونية فهي كالتالي[13]:

1–عدد الحراس والبوابات الإعلامية: فلم يصبح من الضروري تواجد عدد كبير من الإعلاميين كحراس بوابة يسهمون في إنتاج عمل إعلامي معين أو أن تمر المادة الإعلامية على عدة بوابات

قبل أن تصل إلى الجمهور، وليس بالضرورة كذلك أن تتم مراحل عملية حراسة البوابة في شكل خطي أو أن يبتدئ فتح البوابات من قبل الإعلامي، إذ أصبح من الممكن تبادل المواقع بين أطراف عملية حراسة البوابة (مرسل–مستقبل) وأصبح بمقدور كل طرف فيها القيام بالدور الأول في العملية أو أن يمتلك مفتاح البوابة[14].

ففي ظل البيئة الإلكترونية قد تقلص عدد حراس البوابة الإعلامية حيث أصبح بإمكان فرد واحد أن يقوم بجميع المهام من جمع للمادة الإعلامية ، تحريرها ونشرها في نفس الوقت، وهو ما أدى إلى زيادة المهام الملقاة على عاتق حارس البوابة في بعض المراحل عن غيرها، إذ بينما قل الجهد الذي يبذله في الحصول على المادة الإعلامية فقد زادت مهامه في مجال معالجة المعلومات والأخبار وصياغتها وتحريرها عن ذي قبل[15].

كما تراجع دور جامعي الأخبار في البيئة الإعلامية الإلكترونية في مقابل تصاعد دور معالجي الأخبار والبيانات والمعلومات حيث لم يصبح من الضروري نزول الإعلامي إلى الميدان وجمع المادة الصحفية إذ أصبح بمقدوره تجميع هذه المادة والاتصال بأطرافها ومصادرها عبر وسائل إلكترونية مثل البريد الإلكتروني والقوائم البريدية والجماعات الإخبارية والمؤتمرات عبر الفيديو وغيرها، وهو أمر يؤدي إلى تراجع قيام حراس البوابة بأدوار مهنية مهمة، لكن من ناحية أخرى أوجدت الرقمنة عدة إشكاليات أخلاقية منها سهولة التعدي على ممتلكات الآخرين ونسبها لغير أصحابها من حراس البوابة الأصليين، كما سهلت من عملية التشويه والتحريف في المضمون الإعلامي.

من جهة ثانية تقلص عدد بوابات الحراسة فلم يعد من الضروري مرور المادة الإعلامية بعدة بوابات من مصدرها الأولي إلى الصحفي إذ يمكن أن تختزل في بوابة واحدة تتجمع فيها مفردات عملية حراسة البوابة[16].

2- طبيعة عمل حارس البوابة: بالرغم من السمات الخاصة والمتميزة للبيئة الإعلامية الإلكترونية فإن حراس البوابة في هذه البيئة لا يزالون يقومون بنفس المهام التي يقوم بها حراس البوابة في البيئة التقليدية سواء في جمع المادة الإعلامية أو تقييمها أو تحريرها أو تصميمها أو إخراجها، وإن حدث تغير في أولويات بعض المراحل عن غيرها وزادت أهمية بعضها عن غيرها، كما أضيف إليها مراحل أخرى باعتبار أن للبيئة الإعلامية الإلكترونية سماتها الخاصة والتي تفرض مهام جديدة على حراس البوابة العاملين بها، بحيث لم يعد يقتصر عملهم على اتخاذ قرار بنشر مادة معينة وحجب غيرها، إذ أصبح عليهم اتخاذ عدة قرارات أخرى تتعلق بطبيعة النصوص المصاحبة للمادة والروابط المتضمنة فيها، والصور الرقمية الخاصة بها، ونوعية الأصوات

المصاحبة لها، والرسوم التوضيحية والغرافيكية والخرائط وقواعد المعلومات المناسبة لها، وروابط البريد الإلكتروني وخلفية الكاتب.

كما زادت من عدد التساؤلات التي يطرحها حارس البوابة على نفسه أثناء عملية اتخاذ قرار بشأن مادة معينة مثل: هل يكتفي ببث النص الإعلامي والإخباري، أم يتم إضافة مواد سمعية وبصرية ومرئية له، وهل يلحق بريده الإلكتروني على كل ما يكتبه، وهل يدخل في محاورة مع الجمهور وغيرها من التساؤلات.

وقد خلصت الدراسات الإعلامية الحديثة التي أجريت في هذا المجال إلى أن حراس البوابة في البيئة الإعلامية الإلكترونية يستثمرون جل وقتهم في تحديد ومعالجة الحزمة المعلوماتية والإخبارية التي يقدمونها للجمهور أكثر من التركيز على عملية جمع المادة الإعلامية الميدانية، وهو ما يوفر أمامهم فرصا أكبر لممارسة قدر أكبر من اختيار المادة الإعلامية وتنويع طرق عرضها وتفسير حقائقها وبياناتها، كما خلصت هذه الدراسات الإعلامية إلى أن حراس البوابة في البيئة الإعلامية الإلكترونية أصبحوا أكثر ميلا لإعادة تغليف وتفسير المعلومات التي يلتقطونها من المصادر الأخرى التي يقومون بتطويرها بذواتهم[17].

3- الأشكال والصيغ الإعلامية: أثرت البيئة الإعلامية الجديدة على طبيعة العمل الإعلامي وعلى الأساليب الإعلامية والتحريرية المستخدمة في العمل الإعلامي، حيث أصبح أقل رسمية وروتينية مع تراجع في تأثير بعض العوامل التنظيمية والمؤسسية والروتينية على منتجاتها الإعلامية، في مقابل تزايد الاعتبارات الشخصية والذاتية التي توفر العديد من الخيارات أمام حارس البوابة أثناء اتخاذه قرارا بتمرير مادة إعلامية ما سواء فيما يتعلق بطريقة نشرها أو توقيتها والاحتفاظ بها، أو توزيعها، أو بثها أو إبرازها في عدة أشكال، وهو ما يجعله يعمل في بيئة تطلق ملكاته وقدراته الإعلامية ولا تقيده بقيود مثل المساحة أو التوقيت أو أمر طبع أو موعد توزيع ... الخ، فضلاً عن كونها بيئة تسمح له بخلط الأشكال الإعلامية التي كانت منفصلة سواء في الخبر أو الحوار أو التعليق أو الحوار أو الدردشة أو المنتديات وغيرها، مع إمكانية تقديم الأشكال الإعلامية التقليدية بصورة جديدة، فالخبر يتم بثه بمجرد حدوثه وبشكل فوري ومن موقع الحدث وبوسائط إعلامية متعددة مع الكثير من التحليل والعمق.

كما يمكن تقسيم القصة الإعلامية إلى روابط تشعبية تقوم بعمليات التفسير وتقديم الخلفيات وتوفير سياق معلوماتي مميز يعطي رؤية أوسع وأشمل لأنواع جديدة من التغطية الإعلامية الفورية والمتكاملة للحدث وهو ما يعرف بالتغطية ذات الحواشي، فبينما تحمل الوسائل التقليدية المعلومات في اتجاه واحد فإن الوسائل الجديدة تحملها في أكثر من اتجاه، كما تزيد من توقعات المستخدمين بمساعدة حراس البوابة لهم في اختيار ما

يناسبهم من معلومات ولفت أنظارهم لما يهمهم من أحداث والتحاور معهم بأشكال إعلامية جديدة وغير مألوفة في وسائل الإعلام التقليدية.

4- علاقة حراس البوابة بالأطراف التقليدية في مجال العمل الإعلامي: فقد غيرت البيئة الإعلامية الإلكترونية من الصورة القديمة للعلاقة بين حراس البوابة وغيرهم من الأطراف المنخرطة في حراسة البوابة، ففيما يتعلق بالمصادر تغيرت نوعيتها بحيث أصبح معظمها من النوع الإلكتروني أي يتم التعامل مع أجهزة ووسائل إلكترونية أكثر من التعامل مع المصادر الحية، وبمقتضى ذلك يقوم حراس البوابة برصد وجمع وتصنيف وتحليل وتبويب المواد الإعلامية التي يتم استقبالها من الوسائل الإلكترونية الأخرى كوكالات الأنباء والشبكات الإخبارية وقواعد المعلومات وغيرها، وإن كانوا لا يزالون يتمتعون بالقدرة على الاتصال بالمصادر الحية سواء لجمع المادة أو لرصد آرائهم أو مواقفهم أو غيرها.

كما تغيرت إلى حد كبير طرق اتصالهم بالمصادر حيث أصبحت تتم عبر أجهزة المودم والكمبيوتر أكثر منها عن طريق الاتصال المباشر بما لذلك من مزايا وعيوب، كما أصبح شكل التراسل والتواصل يتخذ أشكالا جديدة مثل البريد الإلكتروني، الدردشة الفورية، برامج التراسل الفوري ومؤتمرات الفيديو وغيرها.

فضلا عن ذلك **تغيرت علاقة حراس البوابة بالجمهور** فمن بين الملامح الأساسية في البيئة الإعلامية الإلكترونية تراجع التوجه الأحادي الذي يتخذ طابع تدفق المعلومات والأخبار بشكل رأسي من حراس البوابة إلى الجمهور، إذ أصبح يتخذ شكلا تفاعليا وتبادلا للأدوار بين المرسل والمتلقي حيث أصبح هذا الأخير متلقيا إيجابيا له القدرة على المشاركة في صناعة الحدث والمضمون والرأي.

كما أصبح حراس البوابة الإعلامية يولون أهمية كبيرة لتطوير علاقاتهم بالجمهور من خلال قراءة رسائلهم الإلكترونية والرد عليها والتفاعل والمشاركة في الحوارات والمنتديات في وقت يتمتعون فيه بميزة مهمة وهي قدرتهم على التعرف على أعداد جمهورهم وتوقيت تعرضهم لما يقدمونه والمدة الزمنية التي يقضونها في تعرضهم للقراءة أو المشاهدة أو الاستماع وطبيعة المضامين التي يفضلونها وهو ما يساعدهم في اتخاذ قرارات تتلاءم مع طبيعة ذلك الجمهور واهتماماته وزيادة التفاعلية بينهم[18].

5- أخلاقيات العمل الإعلامي في البيئة الجديدة وتأثيرها على حارس البوابة[19]: تثير البيئة الإعلامية الإلكترونية الكثير من التساؤلات حول تأثيرها على الأخلاقيات الإعلامية لحارس البوابة، حيث أفرزت هذه البيئة ظواهر جديدة لابد وأن تترك تأثيراتها على طبيعة هذه الأخلاقيات وخاصة في ظل

غياب القوانين والتشريعات التي تنظم العمل الإعلامي على الويب وصعوبة تطبيق قوانين بعينها على وسيلة تتجاوز الحدود الجغرافية والسياسية لبلد إصدارها، في وقت تُتهم فيه وسائل الإعلام الإلكترونية الجديدة بعدم احترامها لمعايير وأخلاقيات المهنة، ومن ثم تحتل أخلاقيات العمل الإعلامي على الويب أهمية تفوق بكثير أهميتها في البيئة الإعلامية التقليدية.

ومن بين التأثيرات التي تتركها البيئة الإلكترونية على حراس البوابة هي سهولة التعامل مع المادة الإعلامية بفعل استخدامها للرقمنة في معالجاتها وهو ما قد يؤدي إلى إمكانية الاعتداء على حقوق الملكية الفكرية الخاصة بحراس بوابة آخرين بسهولة ونسب مواد إعلامية لا تحق لهم لأنفسهم، كما يمكن أن تؤدي سرعة بث المواد الإعلامية على الويب إلى تراجع الاهتمام بقيم تحري الدقة في المادة الإعلامية وضرورة التثبت منها وعدم القدرة على التمييز بين المصادر ذات المصداقية والأخرى التي تفتقد إليها نظرًا لكثرة المعلومات وتزاحمها وعدم فلترة معظمها وإمكانية اختلاط الحقائق بالشائعات.

خاتمة:

يكشف العرض السابق لكل من الدراسات الإعلامية الأكاديمية في البيئة الإعلامية التقليدية والإلكترونية التي تناولت بالبحث "حارس البوابة" عن صحة فرضية الدراسة التي تقول بأنه بالرغم من التغييرات التي حدثت لمفهوم حارس البوابة الإعلامية في الآونة الأخيرة إلا أنه مازال مفهومًا صالحاً للتطبيق في ظل البيئة الإعلامية الإلكترونية التي فرضتها تطبيقات الأنترنيت في هذا المجال، فبالرغم من السمات الخاصة للبيئة الإعلامية الإلكترونية فإن حراس البوابة في هذه البيئة لا يزالون يقومون بنفس المهام التي يقوم بها حراس البوابة في البيئة التقليدية سواء في جمع المادة الإعلامية أو تقييمها أو تحريرها أو تصميمها أو إخراجها، فجوهر وظيفة ومهام حراسة البوابة مازال حيًا في البيئة الإلكترونية وإن حدث تغير في أولويات بعض المراحل عن غيرها وزادت أهمية بعضها عن غيرها وأضيفت مراحل ومهام جديدة، فمهمة الغربلة أو الفلترة أو التقييم لم تختف تمامًا، ويقوم بها حراس أفراد والبعض الأخر يقوم به وسائل وبرامج وتقنيات تكنولوجية متخصصة مع استمرار حاجة الجمهور لحراس بوابة يقومون بتقييم جودة ومصداقية هذه المعلومات التي يتعرضون لها.

وهكذا نجد أن مفهوم حراسة البوابة قد مر بعدة مراحل متداخلة ومترابطة ومتواصلة، تحمل كل مرحلة منها إرث المرحلة التي سبقتها، وتتكامل معها في تشكيل المحددات العامة للمفهوم، وإن حدث تغير في زاوية الرؤية للمفهوم من مرحلة إلى أخرى إلا أن بعض المراحل كانت تقوم بإعادة إنتاج المراحل السابقة لاختبارها، أو للاستمرار للاقتناع بها، وهو ما يعني أن التطور الزمني لمفهوم حراسة البوابة لا يلغي التصورات القديمة عنه

أو التفسيرات المرتبطة بطبيعة العوامل المؤثرة فيه، بل وقد تتواجد في ذات الفترة الزمنية دراسات تنتمي إلى رؤى ومراحل مختلفة وتقدم كل منها تصوراتها الخاصة لمفهوم وعملية حراسة البوابة.

الهوامش:

[1]: حسن عماد مكاوي، ليلى حسين السيد، الإتصال ونظرياته المعاصرة، الدار المصرية اللبنانية، ط4، القاهرة، 2003، ص176.

[2]: سعاد جبر سعيد، سيكولوجية الإتصال الجماهيري، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2008، ص55.

[3]: http://annabaa.org/arabic/studies/2170، تاريخ التصفح: 13-05-2017، على الساعة 20:15:34.

[4] : دأب بعض الإعلاميين العرب على استخدام مصطلح "حراس البوابة" كترجمة حرفية لمصطلح "gate keeper" ويرى الدكتور صالح أبو صبع استخدام المغربل أكثر دقة في التعبير من مصطلح حارس البوابة.

[5] : بسام عبد الرحمن المشاقبة، نظريات الإعلام، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2011، ص113.

[6]: سعاد جبر سعيد، مرجع سبق ذكره، ص54.

[7]: بسام عبد الرحمن المشاقبة، مرجع سبق ذكره، ص113.

[8]: حسن عماد مكاوي، ليلى حسين السيد، مرجع سبق ذكره، ص ص 178-184.

[9] : منال المزاهرة: نظريات الاتصال، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2012، ص242.

[10]: السيد بخيت، الأنترنت كوسيلة إتصال جديدة: الجوانب الإعلامية والصحفية والتعليمية والقانونية والأخلاقية، دار الكتاب الجامعي، ط1، الإمارات، 2012، ص ص147-149.

[11]: عبد الغني أمين سعيد، وسائل الإعلام الجديدة والموجة الرقمية الثانية، دار إيتارك للنشر والتوزيع، ط2، القاهرة، 2008، ص21.

[12]: نفس المرجع السابق، ص149.

[13]: السيد بخيت، مرجع سبق ذكره، ص ص151-152.

[14]: نفس المرجع السابق، ص147.

[15] :ثائر نحمد تلاحمة، حراسة البوابة الإعلامية والتفاعلية في المواقع الإخبارية الفلسطينية على شبكة الأنترنيت، رسالة ماجستير في الإعلام، جامعة الشرق الأوسط، كلية الإعلام، 2012، ص ص39-40.

[16]: نفس المرجع السابق، ص40.

[17]: نفس المرجع السابق، ص42.

[18]: نفس المرجع السابق، ص44.

[19]: السيد بخيت، مرجع سبق ذكره، ص162.